

سعدى يوسف

صلاة

الوثني



ألف يوا
Alf Yoo

صلاة الوثني^٣

المؤلف: سعدي يوسف

الكتاب: صلاة الوثني

صدرت النسخة الرقمية: كانون الثاني/يناير 2025

- الناشر: «ألف ياء AlfYaa»
- الموقع الإلكتروني: www.alfyaa.net
- جميع حقوق توزيع النسخة الرقمية بكل التنسيقات (PDF، ePub، و/أو أي تنسيق رقمي آخر محفوظة لـ «ألف ياء AlfYaa»
- جميع حقوق الفكرية محفوظة للمؤلف
- يعبر محتوى الكتاب عن آراء مؤلفه.
- «ألف ياء AlfYaa» ناشرة للكتاب فقط وهي غير مسؤولة عن محتوى الكتاب



-
- تصميم الغلاف والإخراج: طالب الداود

سحدي يوسف

صلاة الوثني^٣

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

زخّة ربيعِيّة

عشرات الآلافِ من الأليافِ المائيّةِ
تَعقُدُ سُلّمَها بين أعالي الشجر المتطاولِ والممشى،
والريخِ مواتيّةً

والأزهارُ البيضُ تطيرُ مع الريخِ:
سأجمعُ ثلجاً في كَفِّي
وأدخلُ بيتي كي أنثرَ هذا الثلجَ المنسوجَ
على صمّتِ مُلاءِاتي
ووسادةِ زاويتي...

لن يتحوّلَ ماءُ الثلجِ دموعاً؛
أنا أعرفُ . طبعاً . أن الأزهارَ البيضَ ستذبلُ بعد قليلٍ
أعرفُ أن الريخَ ستهدأُ
أنّ الشمسَ ستُصبحُ شمسَ الصيفِ
وأني سأسافرُ نحو بلادٍ لا أعرفُها...
لكن، ما شأنِي والعالمُ؟
تكفيني اللحظةُ
بيضاءُ هي اللحظةُ
بيضاء...

لندن 30 / 4 / 2003

أغنية الصرّار

ربّما ساءلتُ نفسي الآن، عمّا أكتبُ الآن...
لماذا أكتبُ الآن؟
وفي أيّ مكانٍ أكتبُ الآن؟

.....
.....
.....

ألم يُعَبِّكْ نصفُ القرنِ من ألعابِكْ:
الصخرةُ والنبعُ
وهذي اللغةُ... الألوانُ والغيمُ... إلخ؟
إنك لا تبدو دؤوباً مثلَ نجّارٍ
ولا منتبّه الملمسِ كالخزّافِ؛
أنت الغافلُ
الناحلُ
والتأتأة...
ما شأنك والدينيا؟
دع العالمَ يمضي مثلَ ما علّمنا العالمُ أن يمضي،
فما لله، لله
وما قد كان للقيصرِ، للقيصرِ...

قُمْ ، فاذهب إلى مقهى على الشاطئ
وانعم بنبيذ الشمس إذ تغرب
والمرأة إذ تلعب
والسنتجاب...

.....

.....

.....

كم ساءلتُ نفسي !
نصف قرن ، وأنا أسأل نفسي:
لِمَ لا تخذلني أغنية الصّرار، كي أغفو قليلا؟

لندن 6 / 5 / 2003

الرجل الذي ينظف زجاج النوافذ

هو يأتي، مرّة في كل شهرين
ويرقى سلماً من خشبٍ أزرقٍ حتى منتهى النافذة العليا
وبالخرقة والمحلول يجلو غائم البلور والمنظر؛
هذا الزائر النادر لا ينظر في وجهك إن صادفته،
وهو لا يهمس حتى بصباح الخير...

يأتي هادئاً، عُفلاً

ويعضي هادئاً،

لكنه يترك للصورة أن تنصع

للمرأة أن تلمع كالمرأة

للمرأة أن يبصرها العاشق من خلف الزجاج

.....

.....

.....

اليوم

كان الكون مبتلاً

ولكنك لا تبصر أمواة السماء؛

المطرُ الناعمُ في ساحتنا أنعم من أن تحتليه العينُ.

والزائرُ؟

حقاً، ترك الزائر لي أن أرقب العشب
الذي يضحك للماء السماوي
وأن أستنشق الأشجار من أغصانها العليا التي تبتل،
أن أستاف ضوعاً طالعاً من جنّة الأعماق حيثُ الجذر...
والبغته:
هذا فُرُح قد علّق القوسَ على باب السماء!

لندن 20 / 5 / 2003

تَحَقُّقٌ

قد كنتُ ...

يا ما كنتِ أمْلُءُ

والخريفُ يَلَوُّنُ الغاباتِ بالذهبِ

وبالجوزيِّ

أو بالقرمزِ المكتومِ ...

يا ما كنتِ أمْلُءُ أن أرى وجه العراقِ ضحىً

وأن أُرخي ضفائره المياة عليّ،

أن أُرضي عرائسَ مائه بالدمعِ ملحاً

أن أُطوّفَ في شطوطِ أبي الخصبِ،

لأسألَ الأشجارَ:

هل تعرفنَ يا أشجارُ أتّى كان قبرُ أبي؟

.....

.....

.....

ويا ما كنتِ أمْلُءُ !

حَلِّها ...

حَلِّ الخريفِ يَتِمُّ دورتهُ

فأشجارُ العراقِ تظلّ عاريةً
وأشجارُ العراقِ تظلُّ عاليةً
وأشجارُ العراقِ، أنيسُها في السرِّ وجهُ أبي...

لندن 21 / 5 / 2003

إِذْهَبْ وَقُلْهَا لِلْجَبَلِ

كيف؟

أنت الساحةُ الآن، ولا تدري بما يَحْدُثُ في الساحةِ؟

ما أسهلَ أَنْ تغمضَ عينيكَ...

ولكنَّ الرصاصَ انطلقَ؛

الدبابةُ "ابراهيم" في المفترقِ الأولِ

والرشاشُ لا يهدأ...

ما كنتَ بعيداً، حين كانت

"ساحة التحرير" تلتئم على أشلائها:

الدبابةُ "ابراهيم" في المفترقِ الأولِ

والسمتيَّةُ السوداء، أباشي، على رأسك

والبرجُ يدور...

انتبه العصفورُ

والمقتولُ

والخائطُ،

لكنك لم تنتبه

الشمسُ على رأسك تحمراً، ولم تنتبه

الساحةُ باروداً من الأعلى

دمٌ إهريقٌ في الأسفلِ

طابورٌ من النملِ
ولم تنتبه...

الليلة، يأتي طائفٌ من آخرِ القُصَباءِ.
يأتينا الشِقْرَاقُ بما فاهت به جَنِيَةُ الهورِ
وتأتي عبرَ مجرى الماءِ أفراسُ النبيِّ.
الطينُ من زَقُورَةِ المَنأى سيأتي
والخُلاسيونَ والجرحى، وما تحملهُ الفاخِطَةُ
الأولى، وما ينفثهُ الثورُ السماويُّ،
ويأتينا عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ...
هذه الأرضُ لنا
نحن، برأناها من الماءِ
وأعلينا على مضطربٍ من طينها، سقَفَ السماءِ
النخلَ
والذاكرةَ الأولى...
وكنا أولَ الأسلافِ، والموتى بها
والقادمين؛

الأرضُ لن تتركنا
حتى وإن كنا تركناها...
سُتْرُخي هذه الأرضُ،
لنا، المَنجاةَ، مَرَساً من حريرِ الشَّعْرِ
مجدولاً،

ستعطينا، أخيراً، إسمها:
ويُلي على الشيطان
ويُلي على أهل الحمى والشان
ويُلي على أهلي
ويُلي على جسر المسيب
والزبير
وقريتي حمدان
ويُلي على ظلي الذي يمحوه أمريكان

كيف؟
أنت الساحة الآن
فكن أدري بمن أنت
وكن أدري بما تفعل
فالساحة . حتى لو تناست إسمها أو غفلت عنه .
هي الساحة
أنت الآن معنى؛
لا تحاور
ولتدع من خاننا يأكل طويلاً شجر الزقوم
واتبثت...
لا تحاور:
هذه الأرض لنا
هذه الأرض لنا
هذه الأرض لنا

منذُ برأناها من الماءِ
وأعلينا، على مضطربٍ من طينها، سقفَ السماء... .

Medellin – Colombia 2003 / 6 / 21

تنويع صعب

سلامٌ على هضباتِ العراق
وشطّيه ، والجرفِ ، والمنحنى
على النخل...
والقرية الإنجليزية الآن صارت تجرُّ، هُوناً، سحائبها
والمساء أدنى
فهي تدفأ، كالقِطِّ، في نومها
وتذوّد الكوايس عن شجرٍ أغرقته البحيرات ...
يأتي المساء
بطيئاً
ومنتظماً (سوف تحصي ثوانيه مرةً)
هل ستغمضُ عينيك؟
عند نهايةِ ذاك المَمَرِّ
ومن مُرتبى النافذة
نحضتُ دوحهَ الجوزِ ...
يأتي المساء
بطيئاً
ويزحفُ حتى يهددَ جفنيك:
هل تبصُرُ السعفةَ المستحيلة؟

سلامٌ على هضباتِ العراق
وشطّيه، والجرفِ، والمنحنى...

هل كنتُ أدري أنّ وجهي، بعدك، الطرقاتُ؟

أبواباً مغلقةً تركتُ، ومنزلاً للريح. لم تكن البلاد،
ولم تكنُ أمواهلك الخضرُ جايتي. لقد خلقتني في
قلعةِ الصحراء. ماذا أرتجي منك، العشيّة؟ في
الصباحِ خذلتني، ودخلت في الثُّكنات. قلت: "
الحربُ أجملُ". لن ترى قدميَّ بعد اليوم. إني
منشدُ الطرقاتِ والحاناتِ، إني الشاعرُ الأعمى.
لديّ من الخريفِ الجُهمُ موسيقى لألوانٍ. ومن
مرأى الغروبِ غضارةُ الورد. وأسألُ عنك، أسألُ
عنك، لكنّ مثل ما يتساءلُ الملدوغُ عمّا حلَّ في
دمه. سلاماً... لا أريدك أن تردّ...

اقرأ على الوشَلِ السلام !

وسلامٌ على هضباتِ العراق ...
الذبيحةُ في العيدِ، بغدادُ في العيدِ؛
تلك المقاهي: لها الشاي مُرّاً،
وتلك الفنادقُ: سكّانها الأبعدون.
الصلاةُ أقيمتُ
صحوئُ الحساءِ بما مرّق من عظامٍ
ومن لحمٍ سُخليّةٍ ...

والمساجدُ مغصوبةُ الأرضِ
أبوابُها للجنودِ، مشاةً، ومجّارةً
وملائكةً طائرِينَ

.....

.....

.....

سلامٌ على...

لندن 31 / 8 / 2003

صوتُ البحرِ

يا صوتَ البحرِ الخافتَ
يا وشوشةً، وهسيساً، وحشائشَ فيروزاً
وأغانيَ بَحَارِ أعمى
يا آخرَ آهاتِ الحُمى
يا بَوَابَةَ بُرْدِيَّ
وحصيراً من سعفِ ضفرتهُ يدا طفلٍ في الليلِ
ويا ريشاً وسلاحفَ
يا مبتدأَ الرِّحْلَةِ من قرطِ امرأةٍ
يا أرجأً يلمعُ في أشجارِ دائمةِ الخضرةِ، شرقيِّ الصينِ
ويا صوتي المتعبَ
يا صوتَ البحرِ الخافتِ:
هل أخطأنا التكوينُ، لنتظرَ التكوينِ؟

.....
.....
.....

يا صوتَ البحرِ الهادئِ
يا صوتاً أسمعُهُ يتسللُ من قصبِ الكوخِ
سلالاً ملامئ بالسمكِ المتواتبِ والأعشابِ...

وأسمعُهُ صُلداً ، وجهيراً ، كالقيظِ المتدليِّ من سقْفِ الأعنابِ
أقول:

لماذا صرتَ المسموعَ؟

تُرى، هل ضقتَ بشكلِ القوقعةِ؟
البحرُ محيطٌ...

لكنَّ الصوتَ من القوقعةِ ارتدَّ إلى القوقعةِ !

الآنَ سنبحثُ عن أرضٍ أخرى

عن صوتِ أعلى

يا صوتَ البحرِ الهادئِ...

.....

.....

.....

يا صوتَ البحرِ الحاضرِ

يا صوتَ البحرِ الهادرِ

يا المُصَاعِدَ من وديانِ الأعماقِ

إلى تيجانِ الآفاقِ

ويا صوتَ البحرِ الهادرِ

حَلِّ القمصانِ تطيرُ مع الريحِ

القبضاتِ المضمومةِ والراياتِ تطيرُ مع الريحِ

وحلِّ ضفائرَ مَنْ أحببناهنَّ ، ومَنْ أحببنا، تطيرُ مع الريحِ

تطيرُ مع الصوتِ الهادرِ

أعلى من هذي الدنيا

أعلى حتى من مأتى الرؤيا
يا صوتَ البحرِ الهادر !

لندن 2003 / 8 / 24

منتظراً الزوبعة المطر

في الأغصان العليا
من أربع أشجارٍ أعلى من سقف بنايتنا
(أعني مبنىً كان يقابلني حتى هذي اللحظة)
كان البنيُّ
جوازَ الأخضر...
أحسستُ بأنّ اللونَ البنيَّ تحركَ
أن نقيعاً من أزرق، شبه رماديّ، يدخلُ في البنيّ،
وأحسستُ بأني سأموثُ (إذا ما متُّ) على شاطئِ بحرٍ؛
أحسستُ بأني سأموثُ سعيداً..

لندن 2003/9/6

قطراتٌ أولى

تلك القطراتُ الأولى تختبئُ الآنَ
ولكن، أين؟
تُرى، أهي بذيلِ الغيمةِ؟
أو تحت وريقاتِ البلوطِ؟
وهل ستقولُ: سلاماً؛ إن نزلتُ في عينيِّ مباحثَةً؟
أنا في ركنِ الساحةِ، منتظرٌ...
فلئن جئنَ فأهلاً!
ولئن غبنَ فأهلاً!
يكفيني أني في الساحةِ أنتظرُ القطرات...
لندن 2003/9/8

السنباب

شرع السنبابُ يَجِبِيُّ تحت الأرضِ مؤونتهُ
مقترَباً حتى من بابي؛
ما أجملَ هذي الدنيا قبل المطرِ!

السنبابُ يَمُرُّ على السنبابِ

لندن 2003/9/8

مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُ

لماذا الكستناء تظلُّ مثلَ النساءِ الجالساتِ على رصيفٍ؟
هو العُمُرُ
الذي وهبَ ارتفاعَ الأغاني، ثمَّ أوشكَ ...
أيُّ معنىٍ سأسألهُ؟
كأنَّ يداً تهاوتَ على شفتي
وقالت: أيِّ معنىٍ؟

وفي حاناتِ لندن، كان شخصٌ يتابعُ خطوتي؛
وأنا بريءٌ:
أقولُ لأَيِّما سببٍ أراه وراءَ خُطاي؟
لم أعرفهُ يوماً
ولم أَلْمَحْهُ في بارٍ قديماً...
إذاً، سأخافُ؛
إنَّ الخوفَ مثلَ الحياةِ
أردتُ: مثلَ الموتِ حقُّ.

وأخرجُ (من وراءِ الباري)...
أمضي
لأجلسَ، دونَ مصطبةٍ، وأُلقي على النهرِ

الذي جمع الغروب المشعشع نظرةً...
ما كنتُ وحدي
بمراةِ المياهِ...

.....

.....

.....

أكنتُ وحدي؟

لندن 11 / 9 / 2003

إلى شيخ عشائر الـ...

سيكون الأمر . كما تعرف . معروفاً
لا سرّ لديك
ولا سرّ لديّ
الدينا، الآن، غدث أضيق من جُحْرِ الضّبّ...
. الخيلُ تخبُّ بعيداً .
والمرأةُ (أعني آخرَ زوجاتك) تعرف هذا
والمارةُ
والمرأةُ
وآلاف الناس على شاشات التلفزيون...
أنا أيضاً أعرفُ هذا
(حتى وأنا في الريفِ بأقصى لندن)
أعرفُ أنك ملقئ:
وجهك للأرض
وجزمتُ جنديّ أمريكيّ تسحقُ فقراتك حتى الأرض؛
زمانٌ مختلفٌ؟
لا بأس...
إذاً، ألقِ إحدى أذنيك بأرضك !
ألقها كي تسمع
ألقها كي تسمع، مثل الخيل، مُغارَ الخيلِ

وَأَصِفْهَا كِي تَسْمَعَنِي
(أرجوك)
أَتَسْمَعُنِي؟
لا تحزن
إحزن
فالخيل، الآن، تحب بعيداً
وتحب بعيداً
لكن أقرب من نبضك...
لا تحزن
إحزن
لا تحزن !

لندن 2003/11/29

سامراء

" أرى العراقَ طويلَ الليلِ ، مُد... "

مطرٌ على النوافذِ
والأشجارُ هابطةٌ، والغيمُ
كان المساءُ الجَهْمُ يدخلُ في لوحِ السلامِ مقروراً
ويدخلُ في أناملي؛
كيف لاحقٌ، بغتةً، وبلا معنى، مدارجُ سامراء؟
كيف نمتُ مَلُويَّةً في يدي؟
كيف صار البئرُ مرتشفي في اللحظة الصِّفْرِ؟
أمواهُ مُعَجَّلَةٌ كالخيلِ
تتبعُ سِحْرَ البحري...
تقولُ: سامراءُ
سامراءُ
حممة وبلوى؛
يا بساطاً من مهقّاتٍ وخِضْرِمَةٍ
ويا درباً إلى المهديّ...
يا بلدي
سلاماً !

لندن 2003/12/2

تحت المطر الموحل

ها نحن أولاءٍ نقرفضُ تحت سقيفتنا السعفِ
قريبينَ من الموقدِ؛
كان دخانُ الورقِ المبتلِّ يبللُ أعيننا بالدمعِ
ويحجبُ عنّا المرأى
حتى لكأنّ أصابعنا بُيرتُ...
نحن نحسُّ بها
لكنّ نعجزُ عن أن نطبِّقها أو نفتحها.
ما أغربَ ما تفعله العينُ إذا عشيّت !
ما أغربَ ما تفعله أوراقُ التينِ...

ها نحن أولاءٍ نراقبُ عند البابِ، الساحةَ
(أعني ساحةَ قريتنا)
نمسحُ عن أعيننا دمعاً وسخاماً
ونحاولُ أن نبصرَ ما يجري...
لكنّ المطرَ الموحلَ كان كثيفاً؛
أكثفَ من لَبِنٍ منقوعٍ منذ سنينَ،
نقولُ: إذاً ، ما جدوى أن ننظرَ؟
فلنطِّبقِ أعيننا دهرًا منتظرينَ

ها نحن أولاء، أخيراً، في الساحة؛
لا ندري كيف تشجّعنا أن نتحرّك
لكنّ المطرَ الموحدَ كان كثيفاً وغزيراً
عُصنا حتى الرُّكبِ المقرورة في الوحلِ
وما زالَ المطرُ الموحدُ يهطلُ...
قلنا: العودَةُ أسلمُ،
فلنتحصّنْ، ثانيةً، بسقيفتنا
ولنجلِسْ حولَ الموقدِ
نُطعمُهُ، أكثرَ، أكثرَ، أوراقَ التينِ.

لندن 2003/12/8

فَنُ الشِّعْر

وتقولُ لي:

"عيناى واسعتانِ

تدخلُ فيهما الأشياءُ كي تَمسي إذا حلَّ المساءُ شريطَ ألوانٍ"،

أقولُ: " إذا، أرفقةُ هُديكِ الزُّرُّ الذي يصلُّ الشجيرةَ بالتصوُّر؟

هل إذا أغمضتِ جفنَكَ

سوف يفتَحُ التَّفَكُّرُ؟

أم هما العيناى واسعتانِ دوماً؟ ... "

.....

.....

.....

يا فتاةً حرَّةً

إني أجربُ ما تقولينَ...

الضَّبَابُ يشوِّشُ المرأةَ

لا الأشجارُ تبدو في البعيدِ كما هي الأشجارُ نعرفها

ولا تلكِ البنايئةُ؛

إن لي عيناى واسعتينِ أيضاً..

غير أن الزُّرَّ مفقودٌ، هنا، في اللحظةِ الصِّمَاءِ هذي.

.....
.....
.....

يا فتاةً حرةً
مَن لي بعينيكِ؟
التفكُّرُ سوف يدخلُ
سوف يقتلني؛
وداعاً...

لندن 2003/12/10

أيُّ هذا الحنينُ، يا عدوي

لي ثلاثون عاماً معك
نلتقي مثل لصينٍ في رحلةٍ لم يُلمّا بكل تفاصيلها؛
عرباتُ القطار
تتناقصُ عبرَ المحطاتِ
والضوءُ يشحبُ،
لكنّ مقعدك الخشبيّ
الذي ظلَّ يشغلُ كلَّ القطاراتِ ما زال محتفظاً بثوابتهِ
بحزوزِ السنينِ
بالرسومِ الطباشيرِ
بالكامراتِ التي لم يعد أحدٌ يتذكر أسماءها
بالوجوهِ
وبالشجرِ النائمِ الآنَ تحت الترابِ...
استرقتُ إليك النظرَ
لحظةً
ثمَّ أسرعْتُ أهتُ نحو المقاعدِ في العرباتِ الأخيرةِ،
مبتعداً عنك...

.....
.....
.....

قلتُ: الطريقُ طويلٌ؛
وأخرجتُ من كيسِي الخيشَ خبزاً وقطعةً جبنٍ...
وإذ بي أراك
تقاسمني الخبزَ والجبنَ !
كيفَ انتهيتَ إليَّ؟
وكيفَ انقضضتَ عليَّ كما يفعلُ الصقرُ؟
فاسمعُ:

أنا لم أقطعَ عشراتِ الآلافِ من الأميالِ
ولم أطوّفَ في عشراتِ البلدانِ
ولم أتعرفَ آلافَ الأغصانِ
لكي تسلبني أنتَ... الكنزَ
وتحبسني في زاويةٍ !

فاتركَ المقعدَ الآنَ، واهبطُ !
قطاري سيسرعُ بي، بعد هذي المحطةِ
فاهبطُ
ودعني أمضي إلى حيثُ لن يتوقفَ يوماً قطارٌ...

لندن 2003/12/11

الرعيانُ

قد تعني الأرضُ، لمن يُنبئها البقلَ، كثيراً
أما نحنُ فإنَّ الأرضَ لدينا متطايرةٌ
وهشيمٌ
أخضرٌ حيناً، أصفرٌ حيناً
ورمادٌ في الريحِ...
صحيحٌ، نحنُ وُلدنا في مُرتَبَعِ ما
في يومِ ما، لكننا سربُ جرادٍ
والأرضُ كذلك سربُ جرادٍ؛ نبلعُها فتطير...
لكننا أبصرنا، اليومَ، قوافلَ فولاذٍ تبحرُ في الرملِ فلا تغرقُ
أبصرنا في الجوِّ نسورَ حديدٍ وصواعقَ،
قيلَ لنا: الأرضُ لمن يفتحُها...
عجباً!
نحن هنا منذ قرونٍ:
لم نملكُ
لم نُملكُ.
أحسنا، اليومَ، بأنَّ الأرضَ لها معنى...

لا يملكُ واحدنا غيرَ عباءتهِ الصوفِ
يُفضفضُها صيفاً
كي يلتفَ بها، مثلَ الكبشِ، شتاءً؛
ومع السنواتِ
مع الريحِ
مع المطرِ المتبدلِ والمرعى
سوف يكون اللونُ أخفَّ
يكون الصوفُ أخفَّ
تكون خيوطُ الصوفِ ملائكةً...
إذّاك يفارقُ واحدنا عُمرَ عباءتهِ، ليموت... .

لندن 2003/12/13

كانون أول

لن أفتح نافذتي...
الريح البحرية تُغرقُ حتى سيقانِ العشبِ،
وتَهْتزُّ الأشجارُ معَ المطرِ؛
الغرفةُ ساكنةٌ (مزدوج كلُّ زجاجِ المنزلِ)
أسمعُ دقاتِ الساعةِ:
تفُ
تفُ تفُ تفُ تفُ
أسمعُ في البُعدِ مَوجاتِ البُرْكةِ،
في القُرْبِ، مَوجاتِ أناملِ...
هل عادتِ، بعدَ سفارِ، مَن أحببتُ؟
أم اللوحةُ تنتظرُ؟
الأزهارُ الصُّفْرُ مبكِّرةٌ جدًّا عندَ مَمَرِ البيتِ
و لا زائرٌ يطرقُ بابي...
حتى الطيرُ تدبِّرُ مُلتجأً ؛
لكنّا، أنا والسنباب، نحاولُ أن نمسكَ شيئاً !

لندن 2003/12/20

مسكن البحيرة

تتناوحُ الرِيحُ التي تأتي من البحرِ،
المساءُ يقيمُ
والزأُنُ المرتخُ في البعيدِ يغيمُ...
حتى الخيلُ لن تجدَ الصباحَ على المروجِ
كأنَّ شميمَ ثلجٍ في الهواءِ؛
كأنما نبتتْ على الرِيحِ الأصابعُ...
أيَّ بابٍ سوفَ أفتحُ؟
أيَّ نافذةٍ...
وايَّ الطيرِ أُطلقُ في مهبِّ الرِيحِ
أُطلقُهُ
لأسكنَ في الفضاءِ؟

لندن 2003/12/21

شاطئ مهجور

قارب، ثلثاه على اليابسة
ظلّ ينضح،
والبحر منكمش
لائد بكثافته من جبال المطر...
قارب لن يقوم، ليبدأ عند السحر
رحلة الصيد
مثلي...

لندن 2003/12/21

القطار الإيرلندي

في دَبْلين
كان قطارُ الليلِ، الحانَةَ
حانَةَ فيتزجيرالد
وأنت تغمغمُ في إحدى عرباتِ المطعم:

يا ليلُ، يا صاحبي، راحَ الفتي وارتاحَ
وامتدَّ ثوبُ الدُّجى، واسودَّت الأقداحُ
حتى المجاذيفُ ملَّت حيرةَ المَلّاخِ
يا ليلُ، يا صاحبي... سُمُّ الأفاعي فاحَ

حانَةُ فيتزجيرالد
مَمَرٌّ ضاقَ بأنفاسِ زبائنه
ونوافذُ مُصَمَّتةٌ
مثل قطارِ الهندِ،
ولكنكُ
حتى لو كنتَ مسافرَ ليلٍ بقطارِ الهندِ
ستبحثُ عن مأوى
تبحثُ عمّا سيكونُ سؤالاً أو سلوى

تبحثُ عن " سعدي " المُتَكَلِّمِ فِي الظلمات
تبحثُ عمّا مات
وعمّن مات؛
أأخطأتَ طريقَكَ حينَ بلغتَ أخيراً
إحدى عرباتِ المطعم؟
هل كانتَ دَبْلِينُ فِي اللوح؟
إذاً، أينَ فُجاءَتْها؟
أينَ الدهشةُ فِي أنَ تلقى ما قُدِّرَ أنَ تلقى؟
فِي أنَ تقرأَ ما فِي اللوح، وأنتَ اللوح.؟.

يا ليل، أين الصفا؟ أين انظفا المأمول؟
أرضُ السوادِ انتهتْ للشوكِ والعاقولُ
كلُّ الجيوشِ اقتضتْ منها، وحالَ الحولِ
يا حسرتي للضميرِ المشتريِ المقتولِ

UK troops in raq

indefinitely, says Straw. The Irish Times – 06.01.04

واقِعُ الأمرِ أني لستُ قارئاً صحفٍ مدمناً؛
لكني كنتُ فِي طائرةِ الخطوطِ الجويةِ الإيرلنديةِ
عائداً إلى لندن مع صديقتي. هذه الصديقةُ
أطبقتُ جفنيها فجأةً لتعودَ إلى الحانةِ التي
شربتُ فيها الموسيقى، البارحة، حتى الفجر.

صحيفة The Irish Times كانت بين يدي
الشخص الثالث الذي لا أعرفه. لا أدري
كيف لمحت الخبر... وكيف سجلته
على التذكرة المستفدة. عُذراً!

اسمعي الآن!
ألست تغمغم في آخر أيام السنة؟
_ الحانئة تنطلق الليلة مثل قطار في الهند _
البحث في إحدى عربات المطعم
عن كرسي
أو صورة كرسي...

يا ليل، يا صاحبي، ما أوحش الوحدة!
أطبقت يا ليل، حتى ماتت الوردة
وارتد من كان مجبولاً على الردة
لكن صوتي سيبقى للصدى، وخذة

ستدق الساعة معلنة عن ضوء
في آخر هذا النفق المظلم...

.....

.....

.....

إيان تدق الساعة؟

أَيَّانَ سَتَأْتِيكَ مَلَائِكَةُ؟
أَيَّانَ سَتَهْدَأُ أَنْفَاسُكَ
بَيْنَ مَلَائِكَةٍ وَشَمُوعٍ...

Dublin - Gogarty's 2004/1/6

هذا المساء سأكون سعيداً

شمسُ الضحى تملأُ العشبَ الفتيّ، وفي القواربِ اصّاعَدَت
تلكَ الوشائِعُ أشتاتاً
وأبحرَةً من المواقِدِ؛
كان الكونُ يغسلُ بالشمسِ الرطوبةَ...
أياماً تَهَدَّدنا ثلجُ
وأغرقَ أعشابَ الحديقةِ غيثٌ سابغٌ.
رثي نقيّةً،
ودخانُ الموقدِ احتفلتُ به الرياحُ
وأكوبي مهيباً
مع النيذِ المُصَفّي المُصطفى...
وعلى زجاجِ نافذتي
بُقياً نديّ؛
أيُّ نُعمى حينَ تَطْرُقُ بابَ البيتِ
أغنيةً مع المساءِ؟
.....
.....
.....
أهذي ليلتي العَجَبُ؟

لندن 2004/1/9

لُزومٌ ما لا يُلزم

سَاعِدْنِي، يَا رَبَّ الْقَلَوَاتِ، عَلَى نَفْسِي
سَاءَ الْمَاءُ فَلَا أَشْرِبُهُ،
سَاءَ هَوَاءُ الْحَانِ فَلَا أَتَنَفَّسُهُ
سَافَرْتُ ، وَلَكِنْ كَيْ أَدْخَلَ فِي اللَّيْلِ عَلَى دَارِي...

عَمَّ أُسَائِلُ؟
عَنْ أَيِّ زَهْوٍ تَحْتَ الثَّلَجِ سَأَبْحُثُ، أَوْ تَحْتَ الرَّمْلِ؟
عَنَاوِينِي انْتَشَرْتُ فِي الرِّيحِ، وَصَرْتُ أَخَافُ
عَلَى نَفْسِي... صَرْتُ أَخَافُ !

دَارِي نَائِيَةٌ عَنْ دَارِي
دِرْعِي يَتَدَرَّعُ خَوْفًا مِنْ دِرْعِي
دَارَ الْكُونُ عَلَى مَنْ صَدَّقَ دَوْرَتَهُ...
دَعْنِي أُطَبِّقُ فُوهَةَ الْبُئْرِ، إِذَا، دَعْنِي !

ياما كان الإغفاءُ على عشبِ النهرِ جميلاً
يا ما كانت أوراقُ رسائِلنا حمراء !
يُداعِبُ شعري الآنَ نسيماً...
يَضْفِرُ لي باقةَ زهرٍ صفراءَ، ويَهْرُبُ مِنِّي.

لندن 2004/1/17

صلاةُ الوثنِيّ

" إلى عبد الرحمن منيف "

يا رَبَّ النهرِ، لك الحمدُ:
امنحني نِعْمَةً أن أدخلَ في الماءِ...
لقد جفَّ دمي
ونشِفتُ؛ قميصي رملٌ، وشفاهي خشبٌ
حتى حُلْمِي صار طوافاً في مَذَابِةٍ صفراءِ...
امنحني، يا رَبَّ النهرِ
كِساءَ النهرِ،
لك الشكرُ
لك الحمدُ
فَمَنْ لي غيرُكَ، يا عارفَ سِرِّ الماءِ؟
.....
.....
.....

يا رَبَّ الطيرِ، لك الحمدُ:
امنحني أن أتقرى بين يديك جناحَ الطيرِ
امنحني نِعْمَةً أن أعرفَ نبضَ قوادِمِهِ وخوافِيهِ

وَأَنْ أَدْخَلَ فِيهِ...
لَقَدْ أُوثِقْتُ، سَنِينَ، إِلَى هَذِي الصَّخْرَةِ، يَا رَبَّ الطَّيْرِ:
أَدْبُ دَيْباً
وَأَرَى كُلَّ خَلَائِقِكَ ارْتَفَعَتْ نَحْوَكَ تَحْمِلُهَا أَجْنَحَةٌ
إِلَّيَّ...
اَمْنَحْنِي، يَا رَبَّ الطَّيْرِ، جَنَاحِينَ!
لَكَ الشُّكْرُ...

.....
.....
.....

يَا رَبَّ النَّخْلِ، لَكَ الْحَمْدُ:

اَمْنَحْنِي، يَا رَبَّ النَّخْلِ، رِضَاكَ، وَعَفْوَكَ:
إِنِّي أَبْصُرُ حَوْلِي قَامَاتٍ تَتَقَاصِرُ
أَبْصُرُ حَوْلِي أَمْطَاءً* تَحْدُودِبُ،
أَبْصُرُ مَنْ كَانُوا يَمْشُونَ عَلَى قَدَمِينَ انْقَلَبُوا حَيَّاتٍ تَسْعَى...
يَا رَبَّ النَّخْلِ، رِضَاكَ وَعَفْوَكَ
لَا تَتْرُكْنِي فِي هَذِي الْمَحْنَةِ
أَرْجُوكَ!
اَمْنَحْنِي، يَا رَبَّ النَّخْلِ
قَامَةً نَخْلَةً...

* أَمْطَاءُ: جَمْعُ مَطَا، وَهُوَ الظَّهْرُ.

لندن 2004/1/26

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

الليلة... لن أنتظر شيئاً

أنا لن أنتظر الليلة شيئاً:
هو ذا القطن الشتائي يغطي ساحة القرية
والطيء الذي ظل يزور الكستناء ارتحل...
الأشجار لا تهتر،
والنافذة الوسطى التي تمنحني إطلالة البحر، تغيىم
.....
.....
.....
الآن تأتي عدنٌ بالبحر
تأتي عدنٌ بالسيسبان الحُرِّ والأسماك
تأتي بالأفاويه...
وتأتيني بما يجعل هذا الكون ملتفّاً على جمرته؛
أنظرُ في المرأة:
كان الشخصُ يدعوني إلى شاطئه
مثل الغريق...

لندن 2004/1/31

حياة جامدة

تنحني النبتة المنزلية تحت الهواء الثقيل...
على الطاولة
بين منفضة للسجائر ملأى وكيس دخانٍ
قوائم للغاز والكهرباء،
السفينة تبحر في الحائطِ
الطير ينقر رأس المَعْبِي (غلاف أسطوانة).
غرفتي تتضايقُ مني
تضيقُ...
السفينة غابت عن المشهدِ
الليل يجلس في الركنِ
مُلْتَحِفاً بالهواء التّخين.

لندن 2004 / 2/1

طبيعة غير مية

يمر " أبو الخصب...
كما يمر الضباب، الصبح، أزرق
كان جسراً من الأخشاب ينضح بالرطوبة...
كان نخل
ولبلاب
وكانت في السماء نومة النعمى؛
سأسل عنك يا ولدي
إذا ما غامت الأشياء،
أسأل عنك
أسأل عنك...
لكني أراك الآن:
يوماً بعد يوم، ليلة في إثر أخرى
فانتظرنني، يا بُني،
سنتقي، حيث الضباب، الصبح، أزرق...

لندن 2004/2/1

لو كان الصبحُ جميلاً

لو كان الصبحُ جميلاً، مثلَ حذاءِ الـ Marks & Spencer
أو مثلَ قميصك ليلة أمسِ الأولِ
لو كان الصبحُ جميلاً...
لمضيتُ عميقاً في ممشى الغابةِ
أبحثُ في الورقِ المُسَاقِطِ عن أزهارٍ نادرةٍ وبُحيراتٍ وعرائسٍ ماءٍ،
وأيائل...
(يسخرُ مني جاك كيرواك حتماً!)
لكني سأكرّرُ:
لو كان الصبحُ جميلاً...

.....
.....
.....

ما أيسرَ ما تطلبه من هذا العالمِ !
ما أصعبَ ما تطلبه من هذا العالمِ !

لندن 2004/2/25

ذَبْذَبَةٌ

لستُ مَعْنِيًّا بما يفعله الساسةُ في المستنقعِ الآنَ...
لِي الحُلْمُ:
وفي مُنْفَسِحٍ بالغابةِ
الريحُ تُذَرِّي، بَغْتَةً، شَبَةً رذاذٍ من غبارِ الطَّلَعِ
شَعْرِي اَبْيَضَّ
ثمَّ اصْفَرَّ، كالهالَةِ،
أحسستُ بأني ذو جناحين...
وأحسستُ بأني في دِمٍّ من فضَّةٍ سائلةٍ
(أعني دمي)
سوف أطيرو...

لستُ مَعْنِيًّا بما يفعله الساسةُ في المستنقعِ الآنَ...
لِي الحُلْمُ:
ومن مرتفِعٍ بالشاطيءِ
الريحُ تُذَرِّي، بَغْتَةً، شَبَةً رذاذٍ من أعالي الموجِ
قلتُ " الخَيْرُ أن يأخذني البحرُ..."
سلاماً، أيها الماءُ الذي يمنحُ رُوحِي في مَهاوِيهِ السَلامِ
النورَ والأسماكَ والمُرجانَ
كان الماءُ

مثلي دافئاً
أحسستُ أني أبلغُ الأعماقَ
أحسستُ بأنني، فجأةً، سوف أطيّر...

لستُ مَعْنِيًّا بما قد كنتُ أعني...
أنا في الحُلْمِ:
فتاتي أمسكتُ بي من يدي؛ قالت:
لماذا أنتَ حتى الآن في هذا الرصيفِ؟
العرباتُ ابتعدتْ منذُ سنينَ...
انتبه، الساعة، ولُنسِرْ إلى حانة سيُدوري*
لُنسِرْ
ربما، في لحظةٍ، سوف نظير...
لندن 2004/2/26

* سيدوري، هي امرأة الحانة، التي ودَّعتْ جليجامش ثم استقبلته، في رحلته الخائبة إلى عشبة الخلود.

مستعمرة رومانية

كنا يونانيين ، منازلنا عند تخوم الصحراء العربية؛
لكن لنا نهرين
وبضع قرى، ومزارع نسقيها من أمواه النهرين...
وكان لنا أيضاً شعراء يُقيمون الأوزان
ويحكون عن المرأة
والأزهار،
وفي قنشرين بنينا مدرسة للفلسفة
(الأمر الأغرب أن تلاميذ أرسطو يأتون إلينا أحياناً
ليقولوا شيئاً عن آخر مخطوطات أثينا)
لكننا يونانيون وفلاحون
فلم نصنع أسلحةً
لم نعرف كيف نُعدُّ الفتيان جنوداً
(ما قال تلاميذ أرسطو إن مُعلمهم كان يدرب ابن فيليب المقدوني
على غزو المدن!)

الدنيا تتغير

قالوا

حتى الشمس ستشرق من جهة الغرب...

.....
.....
.....

أنا أهذي الآن، وحيداً، في حانة كِرياكوسَ بـ " صيدا "
كوبُ نبيذي الفَحَّارِ اسْوَدَّ
وشعري ائْبِضَ...
ولا أعرفُ مَنْ أُخْبِرُهُ . حتى سِرّاً . أنّ الرومان نفّوني
حين غَدونا مستعمرةً؟
لكني لا أستبعدُ أن يعرفَ كِرياكوسُ الأمرَ .
الدنيا تتغيّرُ
قالوا...
قالوا...
قالوا...

لندن 2004/3/7

رائحة

ليست رائحةً تلك الآتية، الفجر،
من العشب المنقوع بأمطار البارحة...
الكفان اصطفنا قفازين من الضوع الممزوج بصمغ أخضر
والعين اليمنى رقت رفة قطرة ثلج أولى؛
ليست رائحةً...

ثمت صوت، وتوقف.
صمت، وتجلّى...
وخيوط حرير تتماوج، دانية، من أعلى الشرفات
فهل أحسست بهذا الآتي؟
هذا...

هذا المجهول، كنبضك حين تحبُّ
المعقول كإغماضة هُذبِ
والضائع بين هواءٍ تتنفسه
وهباءاتٍ في الريح؟

لندن 2004/3/17

الاستباحة

السمتياتُ الأميركيةُ تقصفُ أحياءَ الفقراءِ
والصحفُ المأجورةُ
في بغدادَ
تُحدِّثُ قُرَاءَ أشباحاً عن أرضٍ سوف تكونُ سماءً...

هذا الطاعونُ
هذا الوحشُ المملوءُ دما مملِ
هذا الخزيتُ الفولاذُ
وهذا الشاربُ كأسَ دمٍ طافحةً ممَّنْ فُصدوا،
هذا المتدرِّعُ بالقتلى
هذا المتدرِّعُ باللاشيء...
القاتلُ
والمائلُ في الساحات
هذا المنتقمُ ، الليلةَ واللييلةُ، من بغداد
هذا الراحلُ حتماً
سنشيِّعُه يوماً بقناديل البصقات.

السمتياتُ الأميركيةُ تقصفُ أحياءَ الفقراء
والصحفُ المأجورُةُ
في بغدادَ
تُحدِّثُ قُرَّاءَ أشباحاً
عن أرضٍ سوف تكونُ سماءً.

لندن 2004/4/5

الجبَل الأزرق

جبلاً رأيتُ:

أجمَةٌ ، في سفحه، زرقاءُ واسعةٌ
أمّ الماءِ المَرَقِقُ في أعالي الدَّوحِ؟
قلتُ

سأهتدي بروائح الأعشابِ، حتى أبلِّغَ المَرَقِي
ورُبَّتِما انتهيتُ إلى قرارةِ ذلك النورِ...

.....
.....
.....

السماءُ خفيضةٌ
والعشبُ مُلْتَمَّ على أندائه؛
هل كنتُ أهجِسُ نأمةً؟
في مثلِ ما تأتي الفُجاءةُ... جاءني الأطفالُ:
ما اسمُك، يا بُنيَّةُ؟
- سَوَّني بُسرى.
- وأختُك؟
- سَوَّها، يا عَمُّ، فاطمةً.
- وتلكَ؟

- سُمِّيَتْ... -

- والآخرون؟ الأخرى؟

- ستعرفُ الأسماء، يا عَمُّ... -

.....

.....

.....

الشيابُ مهفهفاتُ

والبناتُ يَدْرُنَ، يرقصنَ... -

السماءُ خفيضةٌ:

يا عَمُّ، نحنُ بناتكُ !

انقَضَّتْ علينا الطائراتُ... -

لندن 2004/4/13

عراقيون أحرار

لن نرفع أيدينا في الساحة
حتى لو كانت أيدينا لا تحمل أسلحةً
نحن سلاله أفعى الماء الأول
نحن سلاله من عبدوا ثيراناً تحمل أجنحةً
وسلاله من عبدوا نيراناً في فتن الثلج،
ولم نرفع أيدينا إلا للأحد الواحد
حين وهبناه بُبوتنا...
نحن سلاله من رفضوا عربات الرومان فما انقضوا .
لن نرفع أيدينا في الساحة
لن نرفع أيدينا في الساحة
لن نرفع أيدينا...

لندن 2004/4/15

مَشَارِفُ الرَّبْعِ الْخَالِي

"إلى عبد الله الحارثي ومحمد الحارثي"

قد ترى البدويّاتِ يمشينَ، مرَّ السحابةِ (من أينَ جاءَ السحابُ إلى الشاعرِ؟) البدويّاتُ يمشينَ، بين البيوت التي قد أُقيمتْ على عجلٍ، والخيامِ المُهلَهَلَةِ، الشمسُ قاسيةٌ، والكلابُ الهزيلةُ قد فارقَتْها خِصَالُ الكلابِ التي لن نرى. حَجَرٌ واحدٌ في مَهَبِ الرمالِ. تُرى... أهو النيزكُ؟

الأرضُ كانت هنا ، ربما قبل أن يعرفَ المرءُ لونَ السماءِ. السماءُ هي الرملُ، والأرضُ . من قبل أن نعرفَ الأرضَ . رملٌ. مَضِينَا (أمامَ القوافلِ)، لا نتهدي بالزمانِ، ولكن بساعةِ رملٍ ونجمٍ... فهل سقطَ النجمُ؟ هل صار نيزكنا المائلَ الآنَ بين البيوت التي قد أُقيمتْ على عجلٍ والخيامِ؟ عظامُ الجِمالِ التي قد ركَبْنَا، الجِمالِ التي قد أكلْنَا، غدتْ منذ أن بدأ الكونُ رملاً... خرائطنا تَمَّحِي في عروقِ تَمَوَّجِ صفراءَ، مُذهبةً، وجبالِ شياطينَ. لكننا سوف نعبُدُ هذي الحماقةَ : نمضي لنلْمُسَهَا، أو نموتُ على خطوةٍ حسْبُ منها. ولن نتأسى لأنَّ الرميَمَ اختفى كعظامِ الجِمالِ. السحائبُ مرَّتْ بنا حينَ كنا نفارقُ أنفاسنا تحت شمسِ الإلهِ العجيبِ. فهل سمعَ الشاعرُ الحُلْمَ؟ هل أبصرَ الشاعرُ الهلوساتِ الأخيرةَ للسائرينِ إلى حتفهم؟ مَنْ تُرى أَبَرَ النخلِ؟ مَنْ أَمَرَ النخلَ

أن يتسامق
أعلى من الرمل؟ أعلى من القول؟
كم قيل نحن البُداءُ...
وكم قيل، نحن، هنا، البائدون...

.....
.....
.....

فإن كان ما قيل حقاً
فمن أبر النخل؟
من ابصر البدويات يمشين مرّ السحابة؟
من أطلق الأغنية؟

لندن 2004/4/20

استحضار

ما مُقامي بأرضِ لندنَ إلا...

يا هَلا، يا أبا مُحَسَّدِ، الشَّهَمِ، رفيقي وقائدي في
فلاةِ العُمُرِ يا طالعِ الثنايا، ويا راکزَ أرماحِهِ ليعلنَ
عن ضوءِ المعسكرِ... الليلُ يلتزُّ بطيئاً ودابقاً، مطرٌ
في غيرِ عاداتِهِ، وبرْدٌ تمشَى في عروقِ النباتِ. ليس
لنا في قريةِ الإنجليزِ غيرِ ما تَهَبُّ القريةُ: هذا
السكونُ، هذا السكونُ...

ما مُقامي بأرضِ لندنَ إلا...

يا هَلا، يا مُحَيَّرِي، يا أبا تَمَامِ: الإستعارةُ انتزعتُ
أثوابها عندنا، وصار المعنَى لا يغني إلا على
ليلاه... لا بأس؛ لكنَّ ليلي لم تُعدْ كالتّي عرفنا
زماناً. إن ليلي تُطَوِّفُ الليلَ، مَسْعَىً بينِ خَمَارِةٍ
وأخرى، ومَلهَىً بينَ حِلْسِ وآخَرَ. الليلُ يمضي،
والإستعارةُ تمضي، والسرّاويلُ أينعتُ لا الغصونُ...

ما مُقامي بأرضِ لندنَ إلا...

يا هَلا، أيها النّواسيُّ: هل جئتَ لتحيّا القصيدةَ؟
الليلُ والموكبُ المنادي ببابِ الدَّيرِ، والراهبُ

العجيب... ورِيحَانَكِ ضِعْثًا مِنْ بَعْدِ ضِعْثِ؛ لَقَدْ
أَسْرَفْتَ يَا سَيِّدِي! النَّهَارُ هُنَا خَمْرٌ وَأَمْرٌ، وَاللَّيْلُ
خَمْرٌ وَأَمْرٌ. حَلِّئْنَا مِنْ حَدِيثِ رُهْبَانِكَ! الْأَحْجَارُ مَا
مَسَّتْ سِوَى وَابِلٍ، فَهَلْ مَسَّتْكَ سَرَاءٌ، أَيُّ هَذَا
الْقَرِينُ؟

ما مُقَامِي بِأَرْضِ لَنْدَنَ إِلَّا...

يَا هَلَا، أَيُّهَا الْمُطَوَّبُ، يَا سَعْدِي! سَلَامًا... لَقَدْ
أَتَيْتَ، فَحُذِّنِي مَعَكَ، الْيَوْمَ: سَوْفَ نَمْضِي سَرَاعًا،
لِنَعْنِي؛ وَسَوْفَ نَمْضِي بِطَاءً، لِنَرَى أَيَّ مَذْأَبَةٍ كُنَّا
بِهَا. اللَّيْلُ دَرْعٌ (لَا تَخَفْ). وَالنَّهَارُ حُلْمٌ طَوِيلٌ (لَا
تُفِقْ). أَيُّهَا الْمُطَوَّبُ، دَعْنَا لَا نَكَلِّمَ فِي دَرِينَا
أَحَدًا... دَعْنَا نُقِمَّ فِي الْغِنَاءِ، حَيْثُ الْجَنُونُ...

لندن 2004/4/21

غارة جوية

في الضاحية القصوى، حيث أُقيم بعيداً عن رئة الضَّبَع، اهتَزت أشجارُ الدَّغْلِ وئيداً. أسرعَ طيرٌ يعبرُ نافذةَ المطبخ. قررتُ الليلة أن أتركَ تدخيني. لكني (شأنَ قراراتي الأخرى) سوف أدخِّنُ حتماً. أشجارُ الدَّغْلِ تَطَوَّحُ أوراقاً وأماليد. البرقُ (أراه الآنَ لَمَرَّتِهِ الأولى) هل كانَ حقيقةً بَرِقَ؟ لكنَّ الرعدَ أتى. الريحُ تسوقُ غيوماً سوداً، وحبالاً من ماءٍ، وروائحَ ليستُ من هذي الأرضِ. أهرولاً، أهبطُ دَرَجَاتِ السُّلَّمِ، ملدوغاً، كي أفتحَ بابي للريحِ وللمطرِ... الساحةُ (أعني موقفَ سياراتِ الضَّيعة) تلمعُ تحتَ سماءٍ مثقلةٍ بالنعْمى. أهتُرُّ أنا، وحدي،

للرعدِ...

وأختَضُّ

وأختَضُّ

وأختَضُّ

.....
.....
.....

وفي وطني الآنَ، الرعدُ:

الطيرانُ الأميركيُّ

وبالحاوية العنقودية (كنا شاهدناها في بيروت زماناً)
ينقضُّ على الكوفةِ
والفلوجةِ
والنجفِ...
الطيرانُ الأميركيُّ
الليلةَ ينقضُّ عليَّ الآنَ...

لندن 2004/4/27

من هواجسِ رَجُلٍ، سنة 2000 ق.م

هبطَ الليلُ، سريعاً هذا اليومَ، لأنَّ الفصلَ تبدَّلَ، قالوا...
(يعرفُ هذا، الكاهنُ)
لكني لا أعرفُ ماذا يعني هذا...
لن تختلفَ الأشياءُ كثيراً:
طسَّتْ الخبزِ السائلِ في الحانَةِ،
والعسسُ الليليُّ بأوَّلِ منعطفٍ بعد الحانَةِ
والبنثُ
سُتدخِني مخدَعها حينَ
تُلَوِّحُ بالقنديلِ الزَّيتِ من الكُؤُوةِ...
لم اقصِدُ أن أتحدِّثَ عمَّا لم يختلفَ اليومَ عن الأمسِ،
فأرجو أن تعذرني
كنتُ أحاولُ أن أسألَ، سِرّاً... (أنتَ صديقي):
الشعراءُ، لماذا صمتوا؟
وإلى أين التفتوا؟
ما عدتُ أراهم في الحانَةِ يرتجلونَ ويصطخبونَ...
صحيحٌ أنّ غزاةً دخلوا سومرَ؛
أنَّ المعبدَ يَستبدلُ بالتمثالِ تماثيلَ،
وأنَّ بيوتَ الكُتَّابِ أتاها كُتَّابٌ جُدُّدٌ...
والخ...

لكن، أين الشعراء؟
يقال (ولستُ أُصدِّقُ) إن كثيراً منهم يرتجلون الآنَ
قصائدَ في مدحِ التَّجَارِ الأشرارِ
وضُبَّاطِ الحاميةِ الأكديَّةِ...
(إنَّ الليلَ عجيبٌ !)
عذراً...
قنديلُ الزيتِ يُلَوِّحُ في الكوَّةِ،
عذراً...

لندن 2004/4/29

الأشياء تتحرك

الغيومُ الصَّدفُ
والغصونُ الرَّمْرَدُ ، والزنبقاتُ ، وأزهارُ " لا تنسني "
والنوافذُ
والمُصطلى
والستائرُ
والعشبُ بين شقوقِ الممرِ
وأعشاشُ نيسانَ
حتى المحطَّةُ في المنتأى _
كلُّها ، الآنَ ، لا تتحرَّكُ ...

.....
.....
.....

لكن (أتلمحُ أذُنِي حِصانٍ على المَرَجِ؟)
أنصت !

أترشفُ الوشوشاتِ الشفيفة؟
هل تسمعُ الماءَ في القصبِ؟
الريشَ ، في هَبَّةٍ من طيورِ البحيرة؟
والنجمَ حينَ الحَفاءِ؟
المُويجاتِ في القاعِ ، حيثُ المَحارُ؟

البحيرةُ موسوقةٌ بحقائبها الآنَ
تنتظرُ الليلَ ...

في الليلِ ، آنَ ننامُ جميعاً ، تسافرُ هذي البحيرةُ
كي تبلغَ البحرَ
في لحظةٍ
وتفارقنا - بين جدراننا - نائمين ...

لندن 2004/5/2

أحدُ أصدقائي

ظلمَ، كما كان، شيوعياً
يعملُ في قَبوِ المَبْنى، سراً
ويُسَمَّى (أي يتسَمَّى)... سينُ.

يقرأُ ما في الصحفِ الأولى
يستقرئُ تاريخَ العالمِ، والعمَّالِ
ويطلبُ ما يتفَرَّاهُ ولو في الصينِ...

أحياناً يتذكَّرُ من ظلَّوا معه في الدربِ
فيفرحُ حين يُعَدِّدُهُم:
أفذاذاً
وملائكةً من أعلى عِلِّيِّين

وأحياناً يتذكَّرُ من خذلوه بمنعطفاتِ الدربِ
فيأسى حين يُصَنِّفُهُم:
موتى
ومُرايينَ، وأعواناً للمحتلِّين...

ويقولُ: الدربُ طويلٌ!

والليل رتيبٌ، تسكنه الوحشةُ في قبو المبنى
رطبٌ وطويلٌ
لكني صرتُ، أخيراً، أعرفُ
كيفَ أُعلِّقُ في الساعاتِ
(لئلاَّ يخنقني خيطُ الساعاتِ)
نجوماً من ورقٍ، ورياحينِ...

لندن 2004/5/7

زاوية للنظر

" إلى لويز وارن Louise Warren "

أَبْصِرْ ما ترسّمهُ أنتَ !
ودقّقْ في ما ترسّمهُ...
إنك لن تغتفرَ الخطأَ
الخطَّ المتعيّرَ
واللونَ الأصليَّ...
وما يتبدّى حول إطارِ اللوحةِ من حَلَلٍ
(لستَ مَنْ اختلقَ الخللَ)
المشهدُ كانَ، كما كانَ، وفي أيِّ مكانٍ
لكنكَ مندورٌ كي تلعبَ بالأوراقِ
ملايينَ
(أتحسبُها مَحْضَ ثلاثٍ؟)
ستُعيّرُ هذا المشهدَ
كي تبصرَ ما ترسّمهُ أنتَ
فيغدو ما ترسّمهُ أنتَ: الحقّ...
لندن 2004/5/7

هذا المساء سأكون سعيداً

شمسُ الضحى تملأُ العشبَ الفتيَّ، وفي القواربِ اصَّاعَدَتْ
تلكَ الوشائِعُ أشتاتاً
وأبحرَةً من المواقِدِ؛
كان الكونُ يغسلُ بالشمسِ الرطوبةَ...
أياماً تَهَدَّدنا ثلجُ
وأغرقَ أعشابَ الحديقةِ غيثٌ سابغٌ.
رثي نقيّةً،
ودخانُ الموقدِ احتفلتْ به الرياحُ
وأكوبي مهيباً
مع النيذِ المُصَفَّى المُصطفى...
وعلى زجاجِ نافذتي
بُقياً نديّ؛
أيُّ نُعمى حينَ تَطْرُقُ بابَ البيتِ
أغنيةٌ مع المساءِ؟
.....
.....
.....
أهدي ليلتي العَجَبُ؟

لندن 2004/1/9

منشورات «ألف ياء AlfYaa»

مُعَذِّبِ السَّمَاءِ

عِزَّةً

سنمضي إلى الله

أَكْفَانُنَا دُمْنَا،

وَنِيوبُ الْكِلَابِ الَّتِي اسْتَدَابَتْ هِيَ كَافُورُنَا...

الزنانة التي كانت مغلقةً، كهربائياً، انفتحت فجأةً،
لتجيء المٌجندةً. عيوننا المتورمة لم تتبينها واضحةً. ربما
لأنها من عالمٍ غامضٍ. لم تقل المٌجندة شيئاً. كانت
تسحب وراءها، مثل حصيرٍ مهترئٍ، الجسد المدمى
لشقيقي.

وحفاةً

سنمشي إلى الله

أقدامنا أنتنت بالقروح

وأطرافنا أُثخنت بالجروح

هل الأميركيون مسيحيون؟ ليس لدينا في الزنانة ما
نمسحُ به الجسد المسحى. ليس في الزنانة إلا دمنا
المتختر في دمنا، وهذه الرائحة الآتية من قارة المسالخ.

لن تدخل الملائكة هنا. الهواء يضطرب. إنها أجنحة
خفافيش الجحيم. الهواء هامد.

انتظرناك، يا رب...
كانت زنازيننا أمس مفتوحة
- نحن كنا على أرضها هامدين -
ولم تأت يا رب...

لكننا في الطريق إليك. سنعرف السبيل إليك حتى لو
خذلتنا. نحن أبناءك الموتى أعلننا قيامتنا. قل لأنبيائك
أن يفتحوا لنا الأبواب، أبواب الزنازين والفراديس. قل
لهم إننا آتون. صعيداً طيباً تيممنا. الملائكة تعرفنا
واحداً واحداً...

لندن 2004/5/10

الأسماء

ننسى أسماء الأشجارِ اللائي كنَّ سماءَ طفولتينا
(حتى لو كانت بضعةً أسماءً)

ننساها

(رحلتنا طالت... تعرفُ هذا أنتَ !)

ولكنّا لم نتعلّم أسماءَ الأشجارِ

على طُرُقِ الرِّحْلةِ...

(كان علينا أن نتعلّم أسماءَ العجلاتِ

على الطرقاتِ القفْرِ

وأسماءَ الخاناتِ بأرباضِ المدنِ)؛

القدماءُ يقولون (وأحسبُ ما قالوا حقّاً):

إنّ السِّدْرَةَ رُوْحٌ

والنخلةَ رُوْحٌ

والصفصافةُ سبعةُ أرواحٍ (كالقطّةِ)

.....

.....

.....

ها نحن أولاءُ الآنَ
بلا شجرٍ؛
أنكونُ، إذاً، قد فارقنا منذُ زمانٍ، صَبَوَاتِ الروح؟

لندن 2004/5/21

لا جُنَاحَ عَلَيْكَ

مثلَ ما يُحَدِّثُ الأَمْرُ دوماً، ضُحى الأَحَدِ:
النوم في العسلِ
الكسل
الوشوشات
وتلك الفتاة التي تتلذذُ أَنْ تتوسَّلَ بالأَمْرِ ، من دُبْرِ...
سوف يُحَدِّثُ هذا ؛
نَعَمْ
(لا جُنَاحَ عَلَيْكَ)
الحديقةُ لن تَعَيَّرَ...
لن يسقطَ الطيرُ عن "كستناءِ الحصانِ"^{*}
ولن تُخْرِجَ الأَرْضُ أَثقالَها؛
(لا جُنَاحَ عَلَيْكَ)
أَطْمَئِنَّ:
إن انكسرتْ جِرَّةٌ،
فالجرارُ التي سوف تَوْتِي كثار...
لندن 2004/5/23

* كستناء الحصان Horse chestnut : شجرٌ ذو زهرٍ ربيعيٍّ مُعَنَّقٍ ، أبيض في الغالب.

الليلة، أُلِّدُ بازوليني

لست " المتصوّفَ " ...
لست " السرياليّ "
ولست النادمَ عمّا أحببتَ :
النخلَ ، ورايتكَ الحمراء ؛
ولست المتوسِّلَ بالصحفِ الصفراءِ
(أأكلُ الصحفِ الآنَ تسمِّيها صفراءَ؟)
إذا... كيف ستمضي في هذي المذبذبة الكبرى...؟
من سيترجمُ أشعاركَ عبرَ لغاتِ السوقِ الأوربيّةِ؟
من سيُرشِّحكُ، الليلةَ، في المطعمِ، للجائزةِ الألمانيةِ، أو تلكَ
الكرواتيةِ؟
من سيُسجِّلُ عنوانكَ والهاتفَ والإيميلَ، على قائمةِ المدعوينَ إلى
كلِّ جهاتِ الأرضِ؟
وأيّ امرأةٍ سوف تُمسِّدُ خُصلةَ شعركَ، هذا الأسيبِ، من عينٍ في
هاتفها النقالِ؟
ومؤصدةً، ستكونُ لبابُ أمامكَ
مؤصدةً ، وحديداً؛ ولسوفَ يكونُ الظُّهُرُ . كما كان الليلُ . شديداً
يبدو أنكَ تعرفُ هذا من زمنٍ ! أ لهذا كانت دعوتكَ اليومَ إلى
الحانةِ؟
أرجوكَ، اسمعني! أنا مثلكَ، أرتاحُ إلى البارِ الإيرلنديِّ

ومثلك، لا أعرفُ أن أتوقّف... مثل قطارات تروتسكي في ثورة
أكتوبر،
كم قلتُ لك: انتبه! الدنيا ما عادت تُقرأُ مثل الكَفِّ...
ولكنك، ما زلتَ المأخوذَ بما اتوهمُّ أنك لم تُعدِ المأخوذَ به:
مثلاً، بعراقٍ مركونٍ في زاويةٍ من ميثولوجيا وشيوعيين!
إذا سأصدِّقُ: لستَ المتصوِّفَ
لستَ السَّرِياليَّ
ولستَ النادمَ عمَّا أحببتُ:
النخل، ورايتك الحمراء...

لندن 28 / 5 / 2004

عطلة المصارف 2004/5/31

قلتُ: لن أكتبَ حرفاً واحداً هذا الصباح...
اليومَ عيدُ المَصْرِفِيِّينَ
فلا حافلةٌ تأتي
ولا مصطبةٌ يحتلُّها سكرانُ؛
والناسُ ينامونَ إلى أن يظهرَ الحقُّ.
البريدُ المَلَكِيُّ انصاعَ أيضاً لسياط المَصْرِفِيِّينَ.
يَمَامُ الدَعْلِ لم يدخلْ إلى بستاننا يلتقطُ الديدانَ والحَبَّ.
ومَن كانت ستأتي أخلقتُ موعدها (الهاتفُ يكفي!)
لستُ أدري كيف لا أنتحرُ!
العالمُ قد أغلقهُ البنكُ
وتحكي أنتَ عن فُحشِ بروليتاريا
ومتراسٍ شيوعيٍّ ببرلينَ
وقرنِ سالفٍ!
ما أعجبَ الدنيا...
كأني كنتُ مسؤولاً عن الثورة...
لا بأسَ، إذا؛
كم قلتُ: لن أكتبَ حرفاً واحداً هذا الصباح!

لندن 2004/5/31

فراشات الأنديز

أنا منتظرٌ ما يحوه الليل:
اختفتِ الزُّرْقَةُ منذ الآن
ولستُ أرى إلا طيراً، مَسْكُنُهُ، أبدأ، سقفي القرميد...
سأوقدُ قنديلاً
وأحاولُ أن أفتحَ لي مُنْفَسِحاً في مُلتَحِمِ السُّبُلِ...
القنَّةُ بيضاءُ
الشجرُ الأحمرُ (عُثْنُونُ الشيخ) على منحدرِ السَّفْحِ
وكأسي كوبا الحُرَّةُ*...

Cuba Libre

بضعُ قُطَيَرَاتٍ من مطرٍ صيفيٍّ لم يهطلَ بعدُ تباغتُ أهْدَابِي
افتحْ جَفَنِيَّ على سَعَةِ الْعَالَمِ:
ثمَّ فراشاتٌ سودٌ
هائلةٌ

مثلَ طيورِ الدَّغْلِ
ترفرفُ عبرَ فضاءِ الفندقِ نحوَ السَّفْحِ...
.....
.....

* كوبا الحرة: كوكتيل من الروم والكوكاكولا والليمون الأخضر والعسل مع الثلج.

.....

البيثُ الرفيُّ
هنا في الضاحية البيضاء تماماً
يفقدُ كلَّ خرائطه
ويهم...

لندن 2004/6/15

المترجلون

"إلى حسين الهنداوي"

لم نَعُدْ تحتَ نَجْمِ الرِّعَاةِ القَدَامِي

لم نَعُدْ تحتَ نَجْمِ الرُّعَاةِ

لم نَعُدْ تحتَ نَجْمِ

لم نَعُدْ...

نَحْنُ غَيْبْنَا تَمَامًا

مثل ما غابَ عن مريمَ النجمُ بعدَ مآبِ الحواسِّ...

استمَعْنَا إلى كلِّ ما في أناشيدِنَا

ومَنَعْنَا النَشِيدَ الصِّبَا ،

وانتظرْنَا أغانيَ لم تأتِ حتى ولو كذِبًا ؛

لم يَكُنْ ذاكَ عدلاً !

.....

.....

.....

أتعرَّفُ،

كم كنتُ أرقبُ وجهكَ عندَ الجوازاتِ أمسٍ؟

أَتَعْرِفُ؟
ما كان " هَيْثْرُو" *مطاراً،
ولا كنتِ أنتِ المسافِر...
كان اللصوصُ يديرون أحلامهم في فراءِ المغارةِ،
أمّا بنو الخائباتِ:
أنا
أنتِ
يا صاحبي، يا حسينُ...
فإنّ لنا ، مثلَ أسلافنا، أن نكونَ ملوكَ الهَبَاءِ !

لندن 2004/6/19

* مطار هيثرو London Heathrow Airport

وأتمم...
فما نفع أن تتزود من قهوتي المُرّة؟
الصباح ليس زمان الهروب
المسدس ليس سلاح دفاع...
أقيم
وارتشف، رائقاً، قهوتي مُرّة؛
أرهف السمع للطير في الوُكُناتِ الرفيعة من " كستناء الحصان "؛
دمي فاسدٌ
أنت تعرفُ هذا...
وتعرفُ أنّ الفسادَ مقيمٌ به، أحمر، كالكُرَيَاتِ حمراءَ
لا تفرّعنّ!
اطمئنّ...
فليس الذي بي مثل الذي بك...
والثورةُ المستحيلةُ أبعدُ من أن تراك!

لندن 2004/6/28

ثَبَّتُ الْقَصَائِدَ

- 5..... زَخَّةٌ رُبَيْعِيَّةٌ
6..... أَغْنِيَةَ الصَّرَّارِ
8..... الرَّجُلُ الَّذِي يَنْظِفُ زَجَاجَ النُّوَاذِ
10..... تَحَفُّقٌ
12..... إِذْهَبْ وَقُلْهَا لِلْجَبَلِ
16..... تَنْوِيعٌ صَعْبٌ
19..... صَوْتُ الْبَحْرِ
22..... مَنَنْظَرًا الزُّوْبَعَةَ الْمَطْرِ
23..... قَطْرَاتٌ أَوْلَى
24..... السَّنْجَابِ
25..... مُفَاعَلَتُنْ مِفَاعَلَتُنْ فَعُولٌ
27..... إِلَى شَيْخِ عَشَائِرِ الْـ
29..... سَامِرَاءَ
30..... تَحْتَ الْمَطْرِ الْمَوْجِلِ
32..... فَنُّ الشِّعْرِ
34..... أَيُّهَذَا الْحَنِينُ، يَا عَدَوِي
36..... الرَّغِيَانُ
38..... كَانُونَ أَوَّلَ
39..... مَسْكَنِ الْبَحِيرَةِ
40..... شَاطِئٌ مَهْجُورٌ
41..... الْقَطَارِ الْإِيرْلَنْدِيِّ
45..... هَذَا الْمَسَاءِ سَاكُونٌ سَعِيداً
47..... لَزُومٌ مَا لَا يَلْزَمُ
49..... صَلَاةَ الْوَتْنِيِّ

| | |
|----|----------------------------------|
| 52 | الليلة... لن أنتظر شيئاً |
| 53 | حياة جامدة |
| 54 | طبيعة غير ممتة |
| 55 | لو كان الصبح جميلاً |
| 56 | دذببة |
| 58 | مستعمرة رومانية |
| 60 | رائحة |
| 61 | الإستباحة |
| 63 | الجبل الأزرق |
| 65 | عراقيون أحرار |
| 66 | مشارف الربع الخالي |
| 68 | استحضار |
| 70 | غارة جوية |
| 72 | من هواجس رجل، سنة 2000 ق.م |
| 74 | الأشياء تتحرك |
| 76 | أحد أصدقائي |
| 78 | زاوية للنظر |
| 79 | هذا المساء سأكون سعيداً |
| 81 | مُعدبو السماء |
| 83 | الأسماء |
| 85 | لا جناح عليك |
| 86 | الليلة، أقلد بازوليني |
| 88 | عطلة المصارف 2004/5/31 |
| 89 | قراشات الأنديز |
| 91 | المترجلون |
| 93 | دم فاسد |
| 96 | ثبتت القوائد |